

أضواء البيان

@ 312 المذكورين في قوله تعالى : { إِنْ زُنَّا لَإِذَا تَرَكْنَا وَنُؤْمِنُ } ، أي : العذاب الأليم .
وقوله تعالى : { فَإِنْ زُنَّ هُمْ يَوْمَ مَثَلِهِ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } ، أنه يفعل
مثله من التعذيب والتنكيل بالمجرمين ، والمجرمون جمع مجرم ، وهو مرتكب الجريمة وهي
الذنب الذي يستحق صاحبه عليه التنكيل الشديد ، ثم بيّن العلّة لذلك التعذيب ؛ لأنها
هي امتناعهم من كلمة التوحيد التي هي لا إله إلا الله ، إذا طلب منهم الأنبياء
وأتباعهم أن يقولوا ذلك في دار الدنيا . فلفظة إن في قوله تعالى : { إِنْ زُنَّ هُمْ }
كأنزوا ، إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ، من حروف
التعليل ؛ كما تقرّر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه .
وعليه فالمعنى : { كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ } لأجل أنهم كانوا في دار
الدنيا ، إذا قيل لهم : { لا إله إلا الله يستكبرون } ، أي : يتكبرون
عن قبولها ولا يرضون أن يكونوا أتباعاً للرسل .
وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة ، من كون ذلك هو سبب تعذيبهم بالنار ،
دلّت عليه آيات ؛ كقوله تعالى مبيناً دخولهم النار : { ذَلِكَ كُمْ بِرَأْيِ رَبِّهِ إِذَا
دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ
لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } ، وقوله تعالى في ذكر صفات الكفار وهم أهل النار :
{ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ السَّاغِرِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ } .
7 ! { وَيَقُولُونَ أَءَنْزَلْنَا لَكَ آيَاتٍ كُتُوبًا لِيَشَاعَرَ مَنْ جُنُونٍ }
قد قدّمتنا الآيات الموضحة له في سورة (الشعراء) ، في الكلام على قوله تعالى :
{ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } . { لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا
يُنزَفُونَ } . قد قدّمتنا تفسيره مع ذكر الآيات الدالّة على معناه في سورة (المائدة)
، في الكلام على قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا * الْخَمْرُ
وَالْمَيْسَرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْوَاجُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ، وبيّنا هنا كلام أهل العلم في نجاسة عين
خمر الدنيا دون خمر الآخرة ، وأن ذلك يشير إلى قوله تعالى : { وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ
شَرَابًا طَهُورًا } .